

January 2005

The Endowment (Waqf) and its effect in cultural and scientific development

Follow this and additional works at: https://scholarworks.uaeu.ac.ae/sharia_and_law



Part of the [Jurisprudence Commons](#)

Recommended Citation

(2005) "The Endowment (Waqf) and its effect in cultural and scientific development," *Journal Sharia and Law*: Vol. 2005 : No. 22 , Article 1.

Available at: https://scholarworks.uaeu.ac.ae/sharia_and_law/vol2005/iss22/1

This Article is brought to you for free and open access by Scholarworks@UAEU. It has been accepted for inclusion in Journal Sharia and Law by an authorized editor of Scholarworks@UAEU. For more information, please contact sljournal@uaeu.ac.ae.

The Endowment (Waqf) and its effect in cultural and scientific development

Cover Page Footnote

Prof. Hassan Abdul Ghani Abu Ghuddah Department of Jurisprudence and its fundamentals, Faculty of King Saud University, Riyadh, Faculty of Education, Islamic Culture Department.

الوقف ودوره في التنمية الثقافية والعلمية

الأستاذ الدكتور/ حسن عبد الغني أبوغدة *

ملخص البحث:

يهدف هذا البحث إلى تحليل حقيقة الوقف الذي شرعه الإسلام، وبيان مدى الحاجة إليه في المجتمعات الإسلامية بل والإنسانية، لأن من غاياته الارتقاء بالإنسان عموماً، وتحقيق سعادته وتوفير طموحاته الروحية والمادية.

ومن الطرق التي سلكها المسلمون في سبيل ذلك، وقف المساجد والمدارس والجامعات والمكتبات الخاصة والعامة، والمراكز العلمية والبحثية، فقد أشادوا الكثير منها في طول البلاد وعرضها، وأنفقوا عليها وعلى علمائها وأساتذتها وموظفيها وطلابها ومستلزماتها بسخاء منقطع النظير، لا تزال معالمه باقية إلى اليوم.

وقد أسهمت تلك الأوقاف المتنوعة في إيجاد حضارة مزدهرة ذات طابع أخلاقي وسلوك إنساني رشيد، وتكوين انطلاقة هائلة ذات ارتقاء فكري حر ومستقل عن المؤثرات الحكومية، كما أوجدت تلك الأوقاف نهضة علمية وثقافية شاملة، كان من آثارها وجود مئات الآلاف من العلماء والباحثين والمؤلفين والمخترعين ورجال الفكر ذوي الإبداعات المتنوعة، في شتى المعارف الإنسانية والتخصصات الثقافية والعلمية والاجتماعية، التي أفادت منها الحضارة الغربية الحديثة.

وأوضح هذا البحث أن الأموال الإسلامية الوقفية الخاصة والعامة التي أسهمت في التنمية الحضارية، لا تزال هائلة إلى وقتنا الحاضر، وهي تنتظر دورها المعاصر في بذل أقصى الجهود المخلصة المطوّرة للانتفاع بها.

كما تم في هذه البحث عرض مجموعة من الأساليب والطرق والنماذج المعاصرة الإقليمية والدولية، التي تصلح لاستثمار الممتلكات الوقفية الحالية من أجل تحقيق سعادة الإنسان وتوفير طموحاته الروحية والمادية، وتنمية المواهب والمعارف الثقافية والعلمية، وخاصة في المجتمعات الإسلامية الناهضة، التي تحاول تقليل الفجوة بينها وبين المجتمعات الأخرى المتقدمة.

* أستاذ الفقه المقارن والسياسة الشرعية بقسم الدراسات الإسلامية في كلية التربية بجامعة الملك سعود بالرياض

المقدمة نبذة عن البحث:

أولاً: التعريف بالموضوع: تهدف هذه الدراسة إلى بيان حقيقة الوقف، وما يتصل به من مصطلحات، وبيان حكمه الشرعي مع الأدلة، والأهداف التي شرع من أجلها.

كما تبين هذه الدراسة معنى التنمية الثقافية والعلمية، والمتزلة الرفيعة التي حظيت بها في الإسلام. وتعرض دور الوقف في تحقيق ذلك، والطرق والأساليب والأدوات الوقفية التي تفاعل معها المسلمون للارتقاء بالفكر الإنساني وتنميته، ثقافة وعلماً وإبداعاً وحضارة وأخلاقاً.

كما تبين هذه الدراسة الدور المعاصر المقترح لاستثمار الوقف في تطوير الأفراد والمجتمعات الإسلامية ثقافياً وعلمياً، من أجل تقليل الفجوة بينها وبين المجتمعات الأخرى المتقدمة.

ثانياً: أهمية الموضوع: تتمثل أهمية هذا البحث في عدة وجوه منها:

١. إبراز دور الوقف ورسائله في المجتمع الإسلامي، وبخاصة في المجالات الفكرية والثقافية والعلمية، لعل ذلك يساهم في رد الاعتبار إليه في حياتنا المعاصرة.

وقد التزمت توثيق المعلومات من مصادرها، واكتفيت بذكر اسم المرجع والموضع المراد فيه، مع أنني سأذكره ومؤلفه وطبعته بالتفصيل، في فهرس خاص بالمراجع.

رابعاً: خطة البحث: اقتضت الدراسة أن تكون في سبعة مباحث وخاتمة على النحو التالي:

- المبحث الأول:** تعريف الوقف وبيان حكمه وأهدافه.
- المبحث الثاني:** تعريف التنمية الثقافية والعلمية وبيان مكانتها في الإسلام.
- المبحث الثالث:** وقف المساجد ودوره في التنمية الثقافية والعلمية.
- المبحث الرابع:** وقف الكتاتيب (مدارس التعليم الابتدائي) ودوره في التنمية الثقافية والعلمية.
- المبحث الخامس:** وقف مدارس التعليم فوق الابتدائي ودوره في التنمية الثقافية والعلمية.
- المبحث السادس:** وقف المكتبات ودوره في التنمية الثقافية والعلمية.
- المبحث السابع:** الدور المعاصر لاستثمار الوقف في التنمية الثقافية والعلمية.
- الخاتمة:** في أهم معالم ونتائج البحث.

المبحث الأول

والمراد بحبس العين: إمساكها (كالأرض الزراعية) عن البيع والهبة ونحوها من أسباب التمليك.

والمراد بالتصدق بمنفعتها: تمكين جهات معينة (كالفقراء) من الانتفاع بثمارها وغلاها.

ويعود سبب اختيار هذا التعريف إلى أن له أصلاً في قول النبي ﷺ لعمر ابن الخطاب ﷺ في أرض له أصابها بخير: (إن شئت حبست أصلها، وتصدقت بها) ^(١).

أي: تصدقت بمنفعتها كما يذكر ابن حجر رحمه الله تعالى ^(٢).

ثالثاً: الألفاظ ذات الصلة بالوقف: للوقف مترادفات وردت في بعض الأحاديث النبوية، وفي كتابات الفقهاء، منها: السبيل، وجمعه: سبل ^(٣)، والتأييد، كقولهم: أبدت الأرض: وقفها وذلك لكون الوقف مؤبد المدة ^(٤). ومنها الصدقة

(١) أخرجه الشيخان كما في اللؤلؤ والمرجان برقم ١٠٥٦.

(٢) انظر: فتح الباري ٤٠١/٥.

(٣) الأصل في هذا قوله ﷺ لعمر ﷺ: (احبس أصلها وسبل ثمرها) رواه أحمد في المسند ١١٤/٢ والنسائي في السنن ٢٣٢/٦ وابن ماجه في السنن ٥٤/٢ والحديث صحيح كما في صحيح سنن النسائي ٧٦٣/٢ وورد عند الشيخين بلفظ (إن شئت حبست أصلها وتصدقت بها) كما في اللؤلؤ والمرجان برقم ١٠٥٦، وسيأتي في مناسبه - قريبا - ذكره بتمامه.

(٤) نيل الأوطار ٢٠/٦ و٢٣.

واستدل الفقهاء القائلون بجواز الوقف، بأدلة كثيرة صحيحة واضحة، فيها مشروعيته والترغيب في فعله وبيان فضله العظيم وأجره الكبير عند الله تعالى وذلك لما في الوقف من فعل الخير وإحياء النفوس وتنمية المجتمعات ومن هذه الأدلة ما يلي:

الدليل الأول: حديث أبي هريرة رضي الله عنه أن النبي ﷺ قال: (إذا مات الإنسان انقطع عمله إلا من ثلاثة: إلا من صدقة جارية، أو علم ينتفع به، أو ولد صالح يدعو له) ^(١). والصدقة الجارية عند عامة الفقهاء هي: الوقف ^(٢).

الدليل الثاني: حديث عثمان بن عفان رضي الله عنه أن النبي ﷺ قدم المدينة وليس فيها ماء يستعذب غير بئر رومة فقال: (من يشتري بئر رومة، فيجعل فيها دلوه مع دلاء المسلمين، بخير له منها في الجنة؟) قال: فاشتريتها من صلب مالي ^(٣).

وفي رواية أخرى: أن عثمان رضي الله عنه اشترى بئر رومة بخمسة وثلاثين ألف درهم، فقال له النبي ﷺ: (اجعلها سقاية (سبيلاً) للمسلمين، وأجرها لك) ففعل ^(٤).

الدليل الثالث: حديث ابن عمر رضي الله عنهما قال: أصاب عمر أرضاً بخير فأتى النبي ﷺ يستأمره فيها فقال: يا رسول الله، إني أصبت أرضاً بخير، لم أصب مالا قط أنفس عندي منه، فما تأمر به؟ قال: إن شئت حبست أصلها وتصدقت

(١) سبق تخريجه آنفاً في هامش (٣) في صفحة (٤).

(٢) أسنى المطالب ٤٥٧/٢ ونيل الأوطار ٢١/٦-٢٣.

(٣) رواه النسائي في السنن ٢٣٤/٦ والترمذي في السنن ٥٨٦/٥ وقال: هذا حديث حسن.

(٤) رواه النسائي في السنن ٢٣٥/٦ وهو صحيح كما في صحيح سنن النسائي ٧٦٥/٢.

خامساً: أهداف الوقف: يدوللناظر المتأمل في مجمل أدلة مشروعية الوقف، أن هناك مقاصد وأهدافاً توخاها الإسلام في تشريعه للوقف، ومن أهم هذه الأهداف ما يلي:

الهدف الأول: تحقيق رغبات الإنسان الروحية في اكتساب الثواب المتجدد: وهذا هدف يسعى إليه عامة الناس بدواعي الفطرة، رغبة في المزيد من التقرب من الله تعالى بأعمال الخير والبر، التي تستمر بدوام أسبابها وأدواتها، ولوبعد موت صاحبها، وقد أوما النبي ﷺ إلى هذا في قوله: (من احتبس فرساً في سبيل الله، إيماناً بالله وتصديقاً بوعده، فإن شبعه، وريه، وروثه، وبوله، في ميزانه يوم القيامة) ^(١). قال ابن حجر قوله: (تصديقاً بوعده). أي: الذي وعد به من الثواب والأجر والحسنات ^(٢).....

ومن المقرر عند العلماء: أن الثواب يتجدد باستمرار الأعيان والأدوات وأسباب الخير الموقوفة، ولوبعد موت واقفها ^(٣).

الهدف الثاني: تحقيق مفهوم الإسلام في التنمية الشاملة: شرع الإسلام الوقف واعتبره سبباً من الأسباب التي تسهم في تحقيق التنمية الشاملة في شتى المجالات الدينية والأخلاقية والاجتماعية والمعيشية والعلمية والثقافية ...

(١) رواه البخاري في صحيحه ٣٤/٤.

(٢) انظر: فتح الباري ٥٧/٦.

(٣) الاختيار ٤١/٣ ونيل الأوطار ٢١/٦.

على تعميق وتوسيع القاعدة الذهنية الفردية والمجتمعية، وتسهم في الارتقاء بالممارسات السلوكية الخاصة والعامة.

هذا وليس عجباً بعد وضوح أهداف الوقف وغاياته أن يقبل الصحابة ومن بعدهم -رجالاً ونساءً- على الوقف، وينوعوا أساليبه وطرقه وصوره، التي أسهمت -بجدارة- في تحقيق التنمية الشاملة، وفي قيام الحضارة الإسلامية التي نعم الناس بظلالها ومعطياتها، ولا يزالون.

المبحث الثاني

تعريف التنمية الثقافية والعلمية وبيان مكانتها في الإسلام

أولاً: تعريف التنمية لغة: هي مصدر للفعل الرباعي المتعدي بالتضعيف: نَمَّى، أما فعله المجرد اللازم فهو: نما. يقال نما الزرع، ونما المال، نمواً. ويقال: نَمَّى الرجل الزرع، ونَمَّى الرجل المال تنميةً... وكل من التعبيرين يدل على حدوث الزيادة والكثرة^(١). ومع هذا فيبدو لي أن ((النمو)) يحدث تلقائياً بذاته، أما ((التنمية)) فلا تتم بذاتها، بل بتدخل خارجي.

ثانياً: تعريف الثقافة لغة: هي اسم مصدر للفعل الثلاثي: ثقف (بفتح الثاء وبكسر القاف وضمها). والمصدر: ثقفاً وثقفاً (بفتح الثاء وبسكون القاف وفتحها). ويقال للواحد: ثقف وثقف (بسكون القاف وكسرهما). ومثقف.

(١) الصحاح والمعجم الوسيط: مادة: (نما).

وللثقافة معان عديدة، منها: الفهم والفطنة والآداب والمعارف التي ينبغي أن تتوفر في الفرد العادي وأن يحذق فيها^(١).

ثالثاً: تعريف العلم لغة: هو مصدر للفعل الثلاثي علم (يفتح العين وكسر اللام). ومن معانيه: معرفة الشيء وإدراكه بحقيقته، وهذا يشمل ما يطلق عليه اليوم: العلوم الإنسانية (النظرية) والعلوم الطبيعية (التطبيقية) التي تحتاج إلى تجربة ومشاهدة واختبار^(٢).

رابعاً: تعريف التنمية الثقافية والعلمية اصطلاحاً: ظهر مصطلح (التنمية الشاملة) بقوة عقب الحرب العالمية الثانية، في كتابات كثير من المفكرين والمنظرين، وفي كتابات المنظمات الدولية، وذلك أثناء الحديث عن تجاوز ما خلفته الحرب من دمار وضياع للمنجزات البشرية الفردية والحكومية^(٣).

ويكاد يجمع الباحثون والمهتمون بأمور التنمية عموماً، على أن التنمية الثقافية والعلمية، ركن مهم يندرج في التنمية الشاملة لأي مجتمع، وأنه يراد بالتنمية الثقافية والعلمية: الازدياد والارتقاء نحو الكمال الإنساني، في المعارف والعلوم، وفي طرق التفكير والإبداع، وفي القدرات الذهنية والسلوكيات ونحوها من الإمكانيات الأخرى التي يمكن للإنسان اكتسابها وإفادة المجتمع بها^(٤).

(١) الصحاح والمعجم الوسيط: مادة: (ثقف).

(٢) المرجعان السابقان: مادة (علم).

(٣) المعجم النقدي لعلم الاجتماع: مصطلح: (تنمية) ص ٢٠٥ و ٢٠٩.

(٤) قاموس المصطلحات السياسية والاقتصادية والاجتماعية مادة: ((التنمية)) ص ١٦٤ - ١٦٥ والحضارة والثقافة والمدنية ص ٢٠ و ٢٢.

خامساً: بيان مكانة التنمية الثقافية والعلمية في الإسلام: ليس من دين ولا نظام ولا قانون، حث على التنمية الثقافية والمعرفية والعلمية كما فعل الإسلام، ومن القضايا التي تسجل له حتى عند غير المؤمنين به أنه دين النظر والتفكير والمعرفة والعلم والبحث، وهذه الأوصاف تلتقي - في الجملة - مع إحدى مقاصده الكلية الخمسة في حفظ العقل وصيانتها من الجهل والخرافة والضياح.

وكثيرة هي النصوص القرآنية والنبوية التي تدعو إلى طلب العلم والمعرفة، وإلى الازدياد منهما، مع الحث على التدبر والنظر والتفكير، للتمييز بين الحق والباطل.

على أن دعوة الإسلام إلى هذا النوع من التنمية، غايتها خشية الله تعالى وإعلاء كلمته، وباعثها تكريم الإنسان والعمل على رقيه، ومن النصوص الواردة في هذا المجال ما يلي:

١ - قول الله تعالى: ﴿اقرأ باسم ربك الذي خلق﴾^(١). وهي أول آية نزلت، وفيها الدعوة إلى طلب العلم، أياً كان نوعه، دون أن يحد ذلك سن معين، أو مرحلة دراسية يقف عندها طالب العلم والمعرفة.

٢ - قول الله تعالى: ﴿قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون﴾^(٢).

٣ - قول الله تعالى: ﴿يرفع الله الذين آمنوا منكم والذين أوتوا العلم درجات﴾

(٣).

(٢) العلق / ١.

(١) الزمر / ٩.

(٢) المجادلة / ١١.

هذا، وبعد تتبع مادة هذه الدراسة وموضوعاتها ومصادرها. تبين أن الوقف قد قام بدور مهم في التنمية الثقافية والعلمية، عبر مجموعة من المسارات والمجالات التي تنبه إليها المسلمون قديماً، فأقبلوا عليها بناءً وإشادة واهتماماً ورعاية وتطويراً واستثماراً، كما سيتضح هذا في المبحث التالي وما بعده.

ثانياً: وقف المساجد في العهد النبوي: يعتبر مسجد قباء في التاريخ الإسلامي أول مسجد يبنى ويوقف في سبيل الله، لأن النبي ﷺ أسسه حال قدومه مهاجراً من مكة إلى المدينة، وذلك قبل أن يدخلها ويستقر بها^(١).

ثم قام ببناء المسجد النبوي عند مبرك ناقته، وكان المكان أرضاً لبني النجار، فأراد أن يدفع لهم ثمنها فقالوا: (لا والله، لا نطلب ثمنه إلا إلى الله...) (٢).

ثالثاً: دور المسجد النبوي في العصر الأول: كان النبي ﷺ يعقد حلقات العلم في مسجده، ومن خلالها ينمي ذهنيات أصحابه، ويرتقي بمستوياتهم المعرفية والسلوكية، ويغرس فيهم الآداب والفضائل والقيم الخيرة. قال صفوان بن عسال المرادي رحمه الله: أتيت النبي ﷺ وهو في المسجد، فقلت له: يا رسول الله، إني جئت أطلب العلم، فقال: (مرحباً بطالب العلم، إن طالب العلم تحفه الملائكة بأجنحتها) (٣).

وقال أبو واقد الليثي رحمه الله: بينما رسول الله ﷺ جالس في المسجد والناس معه، إذ أقبل ثلاثة نفر، فأقبل اثنان إلى رسول الله ﷺ وذهب واحد، فوقفا على رسول الله ﷺ فأما أحدهما فرأى فرجة في الحلقة فجلس فيها، وأما الآخر فجلس خلفهم.. فلما فرغ رسول الله ﷺ قال (ألا أخبركم عن نفر الثلاثة؟: أما أحدهم فأوى إلى الله

(١) السيرة النبوية ١٥٨/٢.

(٢) سبق تخريجه في هامش صفحة ٦.

(٣) رواه أحمد في المسند ٢٣٩/٤ والحاكم في المستدرک ٢٥/١ وقال: إسناده صحيح، ورواه الطبراني بإسناد جيد وابن حبان في صحيحه كما في الترغيب والترهيب ٦٦/١.

رابعاً: إقبال المسلمين على بناء المساجد وتفعيل دورها: قال عثمان بن عفان رضي الله عنه سمعت رسول الله ﷺ يقول: (من بنى لله مسجداً يبتغي به وجه الله، بنى الله له بيتاً في الجنة) ^(١). وفي ضوء هذا الترغيب يمكن اعتبار المساجد من أهم وأول المؤسسات الخيرية الوقفية، التي اهتم بها المسلمون عبر عصورهم الممتدة، فقد أقبلوا على بنائها ووقفها بحماس وسخاء، وإنك لا تجد مدينة أو قرية فيها مسلمون، إلا ويسارعون في بناء المساجد أولاً، ويجعلونها وقفاً لله تعالى عن رغبة واختيار، طمعاً في عظيم ثواب الله ...

ومن أشهر المساجد في تاريخ الإسلام بعد المسجد الحرام والمسجد النبوي والمسجد الأقصى، الجامع الأموي في دمشق، الذي أنفق فيه الوليد بن عبد الملك الخليفة الأموي أموالاً طائلة، مما لا يكاد يصدقه الإنسان ^(٢). وقد كان لوقوع هذا الجامع في مدينة دمشق، التي تعتبر مركزاً ثقافياً وعلمياً مهماً خلال فترات طويلة من تاريخ الإسلام، أكبر الأثر في تنمية الحركة العلمية فيه، واستخدامه في الأغراض التعليمية، حيث كانت -ولا تزال- تعقد فيه الحلقات العلمية والوعظية والتثقيفية التي تسهم في الارتقاء الفكري والمعرفي فضلاً عن النمو السلوكي في حياة الناس.

وكم تردّد على هذا الجامع من علماء أفذاذ وطلاب علم، ملؤوا الدنيا خيراً وبرّاً، وفضلاً وعلماً، وتصنيفاً وتحقيقاً ...

(١) رواه الشيخان كما في اللؤلؤ والمرجان برقم ٣٠٩.

(٢) المنتظم ٢٨٥/٦ - ٢٨٧.

وتحقيق مقاصدها في الحفاظ على الهوية الإسلامية، وبعث الفكر الديني الرشيد، ونشر الأحكام والتعاليم والفضائل الإسلامية، وتنمية السلوك الفردي والمجتمعي في نفوس المسلمين، الذين تتزايد أعدادهم في تلك الأصقاع.

خامساً: الوقف على مستلزمات المساجد: تحتاج المساجد إلى دعائم بشرية تسهم في التنمية الدينية والعلمية، وتتفرغ لحراسة العقيدة ورعاية الشعائر الإسلامية، وتبذل العلم والمعرفة لطلابهما.

وقد أدرك المحسنون من المسلمين هذه المعاني، فوقفوا الأموال الكثيرة -المنقولة وغير المنقولة- على أئمة المساجد وخطبائها والمعلمين والمؤذنين فيها، كما وقفوا على طلاب العلم الذين يجلسون في حلقاتها الدراسية، وعلى القائمين برعايتها وإضاءتها وتنظيفها ... ويسرّوا للجميع أسباب السكنى والمعيشة^(١)، لضمان استمرارهم في أداء رسالتهم وتحقيق مزيد من التنمية العلمية والمعرفية، وإيجاد الفرد الصالح في شتى ميوله واتجاهاته.

وقد ذكر أن مئات الآلاف من دنائير الذهب، وقفت مراراً عبر العصور الإسلامية على خطباء المساجد وأئمتها وعلى المعلمين والطلاب والمؤذنين فيها، وعلى الفراشين والموظفين الآخرين^(٢).

(٢) المعيار ٣٣٤/٧ و٣٣٧ ومجموع الفتاوى ٤٣/٣١ ومن روائع حضارتنا ص ١٣٠-١٣١.

(١) الوقف في العالم الإسلامي ص ٧٩ ومن روائع حضارتنا ص ١٢٥ و١٢٩ و١٣١ و١٧١.

كما وجهت كثير من الأموال الموقوفة إلى بناء المساجد وترميمها، وشراء ما يلزمها من طنافس وسرج، وقناديل وشموع، وستور توضع على الأبواب والنوافذ، لتيسر العبادات على المصلين، وتمكّن الأساتذة والطلاب من التعليم والتعلم والوعظ والإرشاد^(١). يضاف إلى هذا وقف الآبار، وأحواض المياه، وأماكن الطهارة، وأدوات الطهارة من أباريق ونحوها^(٢)....

إن الصور والحالات السابق ذكرها في الوقف على المساجد ومستلزماتها البشرية وغيرها، أسهمت إسهاماً حقيقياً في إيجاد الوعي الثقافي وتنشيط الحركة العلمية ونشر القيم الدينية والأخلاقية، فكان الناس ولا يزالون يقبلون على المساجد ينهلون منها الفضائل والآداب الاجتماعية والثقافات والعلوم النافعة، لا يعرفون ظرفاً زمانياً أو مكانياً يحول بينهم وبين ترشيد سلوكهم وتنمية عقولهم وعلومهم ومعارفهم وممارساتهم الحياتية، بل كان شعار كل واحد منهم: طلب العلم من المهد إلى اللحد.

المبحث الرابع

وقف الكتاتيب (مدارس التعليم الابتدائي) ودوره في التنمية الثقافية والعلمية

(٢) المعيار ١١٢/٧ و ٢٧٢ و مجموع الفتاوى ٧٠/٣١ و ٢١٢ والمرجعان السابقان.

(٣) المعيار ٣٤٣/٧ و مجموع الفتاوى ٦٩/٣١ - ٧٠ و ٢٠٨.

أولاً: تعريف الكتاتيب: هي جمع "كتاب". وهو مكان كان يقام -غالباً- بجوار المسجد، لتعليم القراءة والكتابة والقرآن الكريم، وشيء من علوم الشريعة والعربية، والتاريخ والرياضيات ... وهو أشبه بالمدرسة الابتدائية اليوم^(١).

ثانياً: نشأة الكتاتيب: أول ما نشأت الكتاتيب في عهد الصحابة رضي الله عنهم ويدل على هذا أن عمر بن الخطاب رضي الله عنه جعل في المدينة رجالاً يفحصون المارة، فمن وجدوه غير متعلم أخذوه إلى الكتاب^(٢).

ويؤيد هذا الخبر ما روي: أن أطفال الكتاب في المدينة، خرجوا إلى ظاهرها في يوم خميس، لاستقبال أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضي الله عنه عند عودته من رحلة فتح بيت المقدس، فأصابهم من السير على الأقدام -في الذهاب والإياب- عناء شديد، فأشار عمر رضي الله عنه ألا يذهب الأطفال إلى الكتاب في يوم الجمعة التالي، ليسترخوا مما نالهم، وصار الأمر بعد ذلك عادة متبعة، في أن يكون يوم الجمعة يوم راحة وإجازة، ليس لأطفال الكتاتيب وحدهم، بل لسواهم من المشتغلين في دواوين الدولة وإدارتها^(٣)....

ثالثاً: انتشار الكتاتيب في البلدان الإسلامية: انتشرت الكتاتيب انتشاراً كبيراً ومبكراً في العواصم والمدن الإسلامية، وما من مدينة أوقرية فتحها المسلمون إلا وأنشأوا فيها كتاتيب لتعليم أولادهم الذكور والإناث.

(١) المعجم الوسيط: مادة (كتب). ومن روائع حضارتنا ص ١٢٩ وآداب المعلمين ص ٤١ - ٤٥.
(٢) التربية والتعليم في الأندلس ص ١٦٠، ولم أجد هذا الخبر فيما رجعت إليه من كتب الحديث والآثار.
(٣) الترايب الإدارية ٢/٢٩٤.

رابعاً: من مشاهير المعلمين في صدر الإسلام: اتصف معلمو الكتاتيب بالخصال الرشيدة، وكان لا يتولى هذه المهمة إلا من اشتهر بالاستقامة والعفاف وحسن الخلق، مع الخبرة الثابتة في قراءة القرآن الكريم والحديث الشريف، ومعرفة علومهما، إضافة إلى معرفة علوم العربية ونحوها من العلوم المساندة، التي تكون الثقافة الابتدائية عند الطلاب.

ومن مشاهير المعلمين أبو علي شقران بن علي الهمداني المتوفى سنة ١٦٨ هجرية، وكان من فقهاء تونس وعبادها^(٢).

ومنهم أسد بن الفرات فاتح صقلية، الذي استشهد فيها سنة ٢١٣ هجرية، وكان قد عمل في بداية حياته معلماً للأولاد، ثم رحل إلى المشرق للاستزادة من العلم، ثم تولى القضاء في القيروان، ثم فتح صقلية واستشهد فيها، واشتهر بالاستقامة والشجاعة وسعة العلم والفقه في الدين^(٣).

ومنهم حسنون الدباغ، عاش في القرن الثالث الهجري، وكان من الصالحين المخبتين^(٤).

(٣) آداب المعلمين ص ٤١ وتراجم أعلام النساء ص ١٦ و ٥٨ و ٨٥ و ١٤٥.

(٤) طبقات علماء إفريقية ص ٦١ ومعالم الإيمان ٢٠٨/١ و ٢١٥.

(١) طبقات علماء إفريقية ص ٨٠ و ٨٣ وترتيب المدارك ٢٩١/٣ و ٣٠٩ وطبقات الفقهاء للشيرازي ص ١٥٥ و ١٥٦.

(٢) طبقات علماء إفريقية ص ٦٤.

وقد حفلت المكتبة الإسلامية بالعديد من الكتب التي صنفها المعلمون والمؤدبون، وضمنوها واجبات المعلم والمتعلم، وطرق التربية والتعليم، وأحكام ذلك في ضوء الفقه الإسلامي، والأولويات التي يبدأ بها في الحركة التعليمية، وأشهر المعلمين والمؤدبين في التاريخ الإسلامي، وغير ذلك مما تؤيده كثير من النظريات والأفكار التربوية والتعليمية المعاصرة^(١).

إنه ينبغي أن لا يغيب عن البال أن الكتابات كانت نقطة الانطلاق للحضارة الإسلامية، حيث كانت تعدّ الأجيال الناشئة لمواصلة الدراسة والبحث والتخصص العلمي الدقيق، بعد أن تزودهم بمبادئ التحصيل، وتصلق مواهبهم، وتنمي ثقافتهم وعلومهم وسلوكهم الاجتماعي، ليصبحوا بعد قادة الفكر والعلم والتربية.

واستمرت تلك الكتابات تستمد الرعاية والعناية من الخلفاء والحكام والأثرياء المحسنين والعلماء العاملين، فأُنبتت في كثير من الأحيان نباتاً صالحاً، أُنعم ثماره في مشاهير القادة والعلماء الحكماء والفقهاء الذين قادوا المجتمعات الإسلامية نحو المجد والسؤدد.

ثم مضت تلك القرون الزاهية، وحلّ الوهن والشيخوخة في بقايا الكتابات، فألغيت في كثير من الأقطار، أو تقلّص دورها، لتنهض به -من بعض الوجوه- المؤسسات التعليمية الحديثة.

(٢) ينظر كتاب: آداب المعلمين ص ٧٥ و ٨٨ و ٩٨.

وقد شارك في هذه الأنماط الوقفية قطاع عريض من المجتمع: خلفاء وحكام ووزراء، وأثرياء وعلماء، وكثير من عامة الناس من أهل البر والخير^(١).

ثانياً: أماكن وأنظمة المدارس: قامت غالبية المدارس بجوار المساجد، وكانت عمارتها على درجة كبيرة من الإتقان والسعة والجمال، وكان لها أنظمتها الخاصة التي تسير عليها، وتقاليدها التي ترعاها^(٢).

ثالثاً: أشهر المدارس: كانت المدارس تقوم بدور المدارس الثانوية والجامعات والمعاهد العليا - كما يقال اليوم - وكانت تملأ العالم الإسلامي من أقصاه إلى أقصاه، ومن أشهر تلك المدارس:

- ١- المدرسة البيهقية في نيسابور: يعود تاريخها إلى القرن الرابع الهجري^(٣).
- ٢- المدرسة النظامية ببغداد: بناها الوزير نظام الملك أبوعلي الحسن بن علي الطوسي في عام ٤٥٧ هجرية، ونسبت إليه^(٤).
- ٣- المدرسة النورية بحلب: أنشأها الملك نور الدين محمود بن زنكي المتوفى سنة ٥٦٩ هجرية^(٥).

(٢) من روائع حضارتنا ص ١٢٩ و ١٣٤.

(٣) المرجع السابق ص ١٣٠ - ١٣١

(١) معجم الأدباء ٢٢٤/٣ - ٢٢٥.

(٢) الوقف وبنية المكتبة العربية ص ٧٨.

(٣) المرجع السابق ص ٧٩.

- (٤) الدارس في تاريخ المدارس ٣٦١/١.
- (٥) الوقف وبنية المكتبة العربية ص ٨٠.
- (٦) العقود اللؤلؤية ٤٤١/١ و ٤٤٣.
- (١) الوقف وبنية المكتبة العربية ص ٨٦.
- (٢) المرجع السابق ص ٨٧.
- (٣) من روائع حضارتنا ص ١٣٠ - ١٣٢.

ومنها: مدارس القيروان وتونس (العاصمة) التي بناها ووقفها أبو الحسن المريني^(١).

ومنها: المدرسة الأفضلية، والمدرسة التنكزية، والمدرسة الأشرفية، والمدرسة الطازية، وكانت كلها في القدس في عصور مختلفة^(٢).

رابعاً: الحياة في المدارس: كانت تلك المدارس والمعاهد من أحسن الأماكن مظهراً ورعاية، وكان فيها قاعات للمحاضرات، وغرف للمدرسين، وأماكن للمطالعة والراحة، وفي بعضها مساكن للطلاب، ومساكن أخرى للموظفين والعاملين فيها، وأجنحة لتناول الطعام، وللطبخ، وفيها مخازن لادخار الأطعمة والمواد المختلفة^(٣).

وكان في مدينة دمشق وحدها أكثر من أربعمئة مدرسة، ضمت آلاف الطلاب في مختلف المراحل التعليمية، يجلس فيها ابن الفقير إلى جانب ابن الغني، ينهلون من علوم الشريعة والعربية، والطب والفلك والصيدلة والرياضيات^(٤).

ولا تزال آثار تلك المدارس باقية في عامة المدن الإسلامية، في مكة والمدينة، والقدس ودمشق، والقاهرة وتونس والمغرب، وفي بغداد واسطنبول، وبخارى ونيسابور، وغيرها من مدن آسيا الوسطى وإيران والهند^(٥).

(٤) المعيار ٣٣٥/٧.

(٥) معاهد العلم في بيت المقدس ص ١١٦ و ١٢١ و ١٣٤ و ١٥٨.

(١) المعيار ١٣٠/٧ و ١٣٤ وجواهر العقود ٣٤٢/١ - ٣٤٨ ومن روائع حضارتنا ١٢٩ والوقف في العالم الإسلامي ص ٣٨ و ٤٢ و ٤٣ و ٧٧.

(٢) من روائع حضارتنا ص ١٢٩ و ١٣٠ و ١٣٤ و ١٣٦.

أكثر أراضيها الزراعية وبساتينها أوقاف، قد اعتدى عليها واغتصبها بعض الظالمين^(١).

سادساً: وقف المدارس اليوم: من عظمة هذا الدين أن وقف المدارس والمعاهد والجامعات لا يزال ناشطاً حتى اليوم، فكثيرة هي دور العلم التي قام الحكام والأهالي بإنشائها ورعايتها..

ومما ينبغي الإشارة إليه في هذا المقام: الجامعات والمعاهد والمدارس الوقفية الكثيرة الحكومية والأهلية المنتشرة في مدن وقرى المملكة العربية السعودية وفي غيرها من بلاد المسلمين، ومن الوقف الأهلي كلية الدراسات الإسلامية والعربية بدبي ذات الصيت الشائع، والمعهد العالي لعلوم الشريعة بمدينة باتنة (بالجزائر) المشهور المعروف في عموم المغرب العربي، والمدرسة الكتاوية والمدرسة الشعبانية بحلب (في سورية) اللتان تخرج منهما عدد من رجالات العلم والفكر، والجامعة الإسلامية التي أنشئت في عاصمة هولندا عام ١٩٩٨م بأموال وقفية من الجالية هناك. وغيرها كثير في عامة العواصم والمدن الإسلامية، حيث يقبل كثير من الحكام والأغنياء وعامة الناس، على الإسهام في إقامة الكليات والمدارس وبخاصة الشرعية، ابتغاء وجه الله تعالى، ورغبة في النهوض بأفراد الأمة، وتنميتهم ثقافياً وعلمياً وسلوكياً...

(٤) من روائع حضارتنا ص ١٣٦.

المبحث السادس

وقف المكتبات ودوره في التنمية الثقافية والعلمية

للكتاب دور متميز في التنمية الثقافية والعلمية والارتقاء بالفكر البشري، وقد أدرك الواقفون أهمية ذلك فاتجهوا إلى وقف المكتبات، وملأوها بالكتب النافعة في أصناف العلوم الإنسانية والتطبيقية، وقلَّ أن يجد المرء بلدة إسلامية ليس فيها مكتبة وافية خاصة أو عامة، أما العواصم الإسلامية فقد كثرت فيها دور الكتب بشكل لا مثيل له في تاريخ العصور الوسطى، وتسابق الخلفاء والحكام والعلماء والأغنياء في وقف المكتبات والكتب، إما بصورة رسمية عامة، وإما بصورة فردية خاصة، وكان ذلك على النحو التالي:

أولاً: المكتبات العامة المستقلة: من المكتبات العامة المشهورة المستقلة:

مكتبة بيت الحكمة ببغداد في القرن الثاني الهجري، حيث حظيت بعناية عدد من الخلفاء العباسيين، وإن كان المأمون أكثرهم اهتماماً بها، وتنمية لموجوداتها^(١). ومن ذلك دار العلم في الموصل، أنشأها ابن حمدان الموصلية بدعم وتأيد من حكام ووزراء عصره في حوالي عام ٢٧٠ هجرية^(٢).

(١) بيت الحكمة ص ٣٧ - ٣٨.

(٢) تاريخ الموصل ١٩٢/١.

ومن هذه المكتبات: مكتبة جامع آمد في ديار بكر - بتركيا اليوم- ومكتبة جامع أبي حنيفة ببغداد، وأنشئت في القرن الخامس الهجري، ومكتبة الجامع الأزهر بالقاهرة، ومكتبات جامع نيسابور، وجامع حلب، وجامع الزيدي ببغداد، وجامع أصفهان، ومكتبة المسجد النبوي التي أنشئت في القرن السادس الهجري، ومكتبات الجامع الأموي بدمشق، ومسجد الرضواني في تعز باليمن، وجامع الزيتونة بتونس، ومكتبة الحرم المكي^(١)، ومكتبة جامع غرناطة بالأندلس^(٢).

وكان معظم مكتبات المساجد يشتمل على نسخ مخطوطة فريدة من القرآن الكريم، بعضها مكتوب بالذهب^(٣)، إضافة إلى المؤلفات العلمية المتنوعة الكثيرة، وبخاصة ما يتصل بعلوم القرآن والحديث والفقه والعربية.. التي يستفيد منها مرتادو المساجد، وبخاصة الطلاب الذين يحصلون العلم والمعرفة أثناء ترددهم على حلقات العلم في المساجد والجامع^(٤).

ثالثاً: مكتبات المدارس: اهتم واقفو المدارس بتوفير أكثر عدد ممكن من الكتب التي تعضد العملية التعليمية، وذلك رغبة في تكوين ثقافة واسعة راقية متنامية، تعود بالفائدة على المعلم والمتعلم والمجتمع.

ومن هنا نشأت المكتبات الوقفية الكثيرة الملحقة بالمدارس الوقفية، ثم كان للفضلاء من الحكام والعلماء والقضاة والأثرياء وطلاب العلم مشاركات لاحقة،

(٢) المرجع السابق ص ٦٦ - ٧٥.

(٣) المعيار ٢٢٧/٧.

(١) الخطط المقرزية ٢٥٠/٢ و ٢٦٧.

(٢) تاريخ الجامع الأزهر في العصر الفاطمي ص ٨٨ وسير أعلام النبلاء ٥٠٩/٢٠.

ومن تلك المكتبات الوقفية مكتبة مستشفى أحمد بن طولون في القاهرة سنة ٢٥٩ للهجرة الذي كان فيه خزانة كتب فيها أكثر من مائة ألف مجلد، في علوم الطب وفي غيره من التخصصات^(١).

ومن ذلك مكتبة المستشفى العضدي ببغداد الذي أنشأه عضد الدولة البويهري في القرن الرابع الهجري، وألحق به مكتبة كبيرة^(٢).

ومنها: مكتبة مستشفى نور الدين الزنكي بدمشق، وكان فيها خزانتان من الكتب أكثرها في العلوم الطبية^(٣).

ومنها: مكتبة المستشفى المنصوري في القاهرة التي احتوت على كتب كثيرة، منها كتب العالم المعروف بابن النفيس، المتوفى في سنة ٦٨٧ للهجرة، الذي وقف جميع كتبه على هذا المستشفى الذي كان يعمل فيه^(٤).

خامساً: مكتبات الزوايا والربط والخانقاهات^(٥): انتشر بناء هذه الأماكن ووقفها في القرن الرابع الهجري، وكان ممن يأوي إليها: الزهاد وأهل العلم وطلابه الراغبون في التخلي من أجل مزيد من التعبد^(٦).

(٣) النجوم الزاهرة ١٠١/٤ وتاريخ البيمارستانات في الإسلام ص ٧١.

(٤) المكتبات في الإسلام ص ١٤٥.

(١) الدارس في تاريخ المدارس ١٣٨/٢.

(٢) عيون التواريخ ٢١ / ٤٢٩.

(٣) الزوايا: جمع زاوية، والربط: جمع رباط، والخانقاهات: جمع خانقاه، وهي أماكن كان يأوي إليها العباد والزهاد والفقراء، وانظر: المعجم الوسيط: (زواه) و(ربط) و(حنق).

(٤) الخطط المقرزية ٤١٤/٢ و ٤٢٧. ومن المعلوم أنه لا حرج شرعا في هذه الأمور إذا خلعت من البدع والمآخذ الشرعية.

البرزوري بدمشق، ومكتبة التربة المنصورية بالقاهرة، ومكتبة تربة أوغلي في اسطنبول وغيرها كثير^(١).

سابعاً: مكتبات وكتب أخرى وقفية: انتشر وقف الكتب بين كافة فئات المجتمع الإسلامي على امتداد القرون، فكان بعض الناس يقفون كتبهم في بيوتهم، ويفتحونها أمام القراء في أوقات محددة، وكان بعضهم يخط الكتب يمينه ليقفها على طلاب العلم والمعرفة، وكان آخرون يشترون الكتب أو يستأجرون من يخطها لهم، ليقفوها على أهل العلم وطلابه.

ومن ذلك: أن أبا قاسم جعفر بن محمد الموصللي كان له دار في الموصل فيها مكتبة، لا يمنع أحداً من دخولها في كل يوم، فإذا جاءه غريب زوده بما يحتاج إليه من ورق ومال^(٢).

ومن ذلك: أن الفقيه اليمني أحمد بن أبي السعود كان يعمد إلى نسخ الكتب بيده، وإلى شراء كتب أخرى، ثم وقفها جميعها على طلبه العلم والمعرفة^(٣).

وقد أسهم في هذا النوع من وقف الكتب، الأغنياء والتجار والفقراء، فقد حكى أن محمداً بن داود الموصللي المتوفى سنة ٧٢٨ للهجرة، كان تاجراً قادراً في القطن، وكان يقف الكتب الكبار في خدمة العلم وطلابه^(٤).

(٤) المرجع السابق ص ١١٤-١١٥. وقد نسبت كل مكتبة من هذه المكتبات للمقبرة القريبة منها في ذلك المكان أو الحلي.

(١) من روائع حضارتنا ص ١٥٦.

(٢) العقود اللؤلؤية ١/١٢٢.

(٣) الدرر الكامنة ٤/٥٧.

وكانت المكتبات تفتح أبوابها يومياً من بعد شروق الشمس إلى ما قبل غروبها، وكانت تعطل في يومي الثلاثاء والجمعة وفي الأيام الثلاثة الأولى من الأعياد^(٢). وكانت أموال الأوقاف تستمر في الإنفاق على المكتبات والموظفين والكتب المخطوطة، وما تحتاجه من تجليد ورعاية وصيانة^(٣).

هذا، ولا تزال المكتبات الرسمية والأهلية في كثير من المدن والجامعات والمساجد والمدارس، وكثير من بيوت المسلمين، في بلاد الحرمين الشريفين وفي غيرها من البلاد الإسلامية، تقوم بدورها الريادي في تحقيق مزيد من العلم والمعرفة لعامة الناس وخاصتهم من أساتذة وطلاب وطالبات وباحثين ومتقنين.

دور المكتبات الوقفية في التنمية: يتبين مما سبق مدى ما للمكتبات الوقفية قديماً من إسهام جوهري، في تحقيق مزيد من الارتقاء الفكري والتنمية الثقافية والعلمية، وبخاصة إذا استحضرنا غلاء قيمة الكتاب، الذي كان يُخط باليد وقتذاك، مع ندرة النسخ المخطوطة في الأسواق.

وهكذا فتحت المكتبات الوقفية القديمة والحديثة أبوابها للجميع، تيسيراً للمعرفة، وإشاعة للعلم، وتمكيناً من أسبابه وأدواته، لأنه لا يكفي الاقتصار على وقف المساجد والكتاتيب والمدارس ونحوها من مصادر الإشعاع المعرفي والثقافي، بل لا بد من تيسير الحصول على المراجع للدراسة والبحث والتأليف، وتوفير المادة

(٤) المرجع السابق ص ١٥٦.

(٥) مجلة المنهل ص ١٩٤ العدد ٤٨٩ شهر المحرم ١٤١٢هـ.

(١) الوقف وبنية المكتبة العربية ص ١٦٢.

أولاً: الممتلكات الوقفية المعاصرة: تشير الإحصاءات المعنية بالوقف، إلى أنه توجد في البلاد الإسلامية كافة ثروة وقفية هائلة، خلفها السابقون على هيئة أموال وممتلكات ثابتة وغير ثابتة (عقارات ومنقولات) ^(١).

ومن الأمثلة على ذلك: أن ثلث أراضي الدولة العثمانية كان موقوفاً على البر والخير، ومن تلك الأراضي أماكن وعقارات كثيرة في فلسطين والأردن. بل إن الوثائق والمستندات المحفوظة تفيد بأن السكة الحديدية التي مدت من اسطنبول (عاصمة الدولة العثمانية سابقاً) إلى المدينة المنورة، لتسهيل الحج والعمرة، ولخدمة المسلمين، كانت من مال الوقف، بل وقف معها الأراضي المجاورة لها من الجانبين، من كل جانب مائة متر ^(٢).

ومن ذلك: أن الوقف على جامع القرويين (في المغرب) كان ينافس في عوائده ميزانية الدولة نفسها في القرن السابع الهجري (الثالث عشر الميلادي) وذلك بما كان له من جليل العقار وفسيح الغابات، حتى اضطرت الدولة في بعض حالات الحرب إلى الاستعانة بأموال الوقف وعوائده ^(٣).

وعندما شبت الحرائق في سجلات مدينة فاس (في المغرب) عام ٧٢٣ للهجرة = ١٣٢٣ للميلاد، لم يتردد قاضي المدينة في ضم أملاك مدينة فاس كلها للجامع،

(١) إدارة وتنمية ممتلكات الأوقاف ص ١٨٦ و ٢١٥ و ٣٣٩ والوقف في العالم الإسلامي ص ٦٤.

(١) إدارة وتنمية ممتلكات الأوقاف ص ٣٣٩ - ٣٤٠ والوقف في العالم الإسلامي ص ٨٢.

(٢) الوقف في العالم الإسلامي ص ٦٤.

هذا، ويضاف إلى هذه الأموال الوقفية التي خلفها السابقون التبرعات التي تقوم بها شخصيات اعتبارية معاصرة كالأوقاف الصادرة عن الشركات والمؤسسات الحكومية والأهلية، فضلاً عن التبرعات الكثيرة الشخصية التي يقفها الأشخاص العاديون من عامة الناس، والتي تتجلى في صور أموال منقولة وأموال غير منقولة^(١). وهكذا يمكن القول بأن مظاهر الأموال الوقفية المعاصرة تتجلى في ثلاث صور:

- ١- التبرعات الوقفية القديمة، وهي لا تزال كثيرة جداً.
 - ٢- التبرعات الوقفية المعاصرة الصادرة عن المؤسسات والشركات ونحوها.
 - ٣- التبرعات الوقفية المعاصرة الصادرة عن الأفراد العاديين من عامة الناس.
- ثانياً: الطرق المعاصرة لاستثمار وتنمية الممتلكات الوقفية:** نظراً لكثرة الأموال الموقوفة قديماً وحديثاً، فقد درست عدة جهات إسلامية، الصيغ والوسائل المعاصرة الأجدى في استثمار وتنمية هذه الثروة الوقفية الهائلة، الموجودة في دول العالم الإسلامي، وقد شارك في هذه الندوات والدراسات مندوبون عن وزارات الأوقاف، وعدد من البنوك الإسلامية، والجهات والمراكز الإسلامية الخيرية، وقد توصل المجتمعون في جدة - بعد اجتماعات عديدة كان آخرها في ١٩٨٣/١٢/٢٤ للميلاد- إلى توصيات متنوعة منها ما يلي:

(١) مجلة الوعي الإسلامي ص ٢٥ العدد ٣٩٨ لشهر شوال ١٤١٩ هجرية.

١- عقد الاستصناع^(١).

٣- قيام البنوك الإسلامية باستثمار الممتلكات الوقفية في الدول التي هي في حاجة إلى استثمار.

٤- قيام وزارات الأوقاف التي تملك فائضاً مالياً في استثمار أموالها في بلدان إسلامية أخرى هي في حاجة إلى أموال لاستثمار أوقافها.

٥- دعوة الحكومات إلى توفير الضمانات الكافية لهذه الاستثمارات، وحمايتها وإعفاءها من الضرائب^(٣).

وفضلاً عن هذه التوصيات والمقترحات المعاصرة، هناك طرق أخرى نص عليها الفقهاء، وكان معمولاً بها في مجال استثمار وتنمية مال الوقف، ومن ذلك:

(١) الاستصناع: عقد على مبيع في الذمة المطلوب صنعته بأوصاف وشروط متفق عليها، انظر: بدائع الصنائع ٢/٥.

(٢) هي من الأساليب المشروعة التي استحدثتها البنوك الإسلامية، انظر حقيقتها ومشروعيتها وصورها في: أدوات الاستثمار الإسلامي ص ١٠٥.

(٣) إدارة وتشمير ممتلكات الوقف ص ٤٥٤ - ٤٥٥.

- ١- تأجير الوقف: سواء كان محالاً تجارية أو مهنية، أو حمامات، أو مصابن لصنع الصابون، أو كان سُفناً وقفية^(١)... مع مراعاة شروط الواقف.
- ٢- المضاربة بمال الوقف: وهذا فيما يقبل المضاربة من الأموال الموقوفة^(٢)، مع مراعاة شروط الواقف.
- ٣- المزارعة والمساقاة بالوقف: إذا كان يقبل ذلك^(٣).
- ٤- تسليف الوقف وإقراضه: وهو ما قال به المالكية وآخرون في الأثمان الموقوفة، كالذهب والفضة والنقود التي توقف لتسليف الفقراء وذوي الحاجات^(٤).
- ٥- بيع الوقف: إذا تعين ذلك وكانت المصلحة، أو بيع ما يقبل البيع من غلات الوقف وثماره^(٥).

ثالثاً: نماذج معاصرة في تنمية الممتلكات الوقفية: تفاعلت العديد من الجهات المشرفة على الأوقاف مع التوصيات والمقترحات الداعية إلى تنمية واستثمار الوقف

(٤) روضة الطالبين ٣٢٩/٥ - ٣٤٨ و ٣٥١ والوقف في العالم الإسلامي ص ٩٥ و ١٤٠ و ٣٢١ و ٣٢٤.

(١) مجموع فتاوى ابن تيمية ٣١ / ٦٩ - ٧٠.

(٢) المرجع السابق ٣١ / ٦٩ و ٢٦٢ وإدارة وتثمين ممتلكات الأوقاف ص ٣٩٠.

(٣) جواهر الإكليل ١٣٦/١ و مجموع فتاوى ابن تيمية ٣١ / ٢٣٤ - ٢٣٥ قلت: وبناء على جواز وقف النقود عند هؤلاء، فمن الممكن اليوم التوسع في استثمارها أو بعضها في البنوك الإسلامية بالطرق المشروعة العديدة المتنوعة، لما لهذا الاستثمار من دور كبير في تنمية أموال الوقف، وإلى نحو هذا الاتجاه ذهبت بعض المؤسسات الوقفية في السعودية والكويت والأردن وجمهورية السودان... كما هو مذكور في النماذج المعاصرة أعلاه.

(٤) جواهر الإكليل ٢ / ٢٠٨ - ٢٠٩ و مجموع فتاوى ابن تيمية ٣١ / ٦٩ - ٧٠.

العصور الإسلامية الزاهرة. ومن النماذج لدور الوقف في التنمية الثقافية والعلمية في بعض الدول الإسلامية ما يلي:

- ١- إعمار المساجد والإنفاق على مستلزماتها في العواصم والمدن والقرى الإسلامية، بل وفي البلدان الأخرى في قارات آسيا وإفريقية وأوروبا وأمريكا وأستراليا، وذلك بجهود وتمويلات رسمية حكومية، أو خاصة أهلية، كما تشهد بهذا الأخبار المتواترة التي تبثها الصحف والمجلات والقنوات الفضائية^(١).
- ٢- إنشاء المدارس والكليات الشرعية والعامة والمعاهد الصناعية للبنين والبنات، لتعليم العلوم النافعة ومهن النجارة والحدادة والكهرباء والزخرفة والنقش وصناعة السجاد وأشغال الإبرة^(٢). وكثيرة هي المدارس الشرعية القائمة على إسهامات الأوقاف القديمة والحديثة، سواء كانت هذه المدارس بجهود حكومية رسمية، أو بجهود أهلية خاصة، بإشراف أهل العلم وذوي الثراء والخير والإحسان.
- ٣- إقامة المكتبات الوقفية العامة منها والخاصة، كمكتبات المساجد والمدارس الشرعية ونحوها.

(١) وانظر أيضاً إدارة وتتمير ممتلكات الأوقاف ص ٣٢٦ و ٣٤١ و ٣٤٢ و ٤٠٢ و ٤٣٩.
(٢) المرجع السابق ص ٣٣٤ ومجلة الوعي الإسلامي ص ٣٥ عدد شهر ذي القعدة برقم ٣٩٩ لعام ١٤١٩ هـ.

مزيداً من التحصيل الثقافي والعلمي الذي يفيدهم في أمور دينهم ودنياهم.

٤- إنشاء مطابع ودور للنشر، تشجع طبع الكتب المفيدة وتوزيعها وترجمتها إلى اللغات الأخرى، وذلك بأجور وتكاليف مناسبة.

٥- إصدار صحف يومية من مال الوقف؛ لتتابع الأحداث أولاً فأولاً فأولاً، وتدرسها وتحللها من منظور إسلامي ...

٦- إنشاء مراكز وقفية للبحث العلمي، والإنفاق على الباحثين ومستلزماتهم، في شتى المجالات الثقافية والعلمية، وبخاصة المجالات الشرعية والدعوية.

٧- تمويل عمليات شراء المخطوطات القديمة واسترجاع المصنوع منها في الدول الأخرى، وذلك للعمل على رعايتها وطبعها ونشرها.

٨- إقامة معارض للكتب العلمية والثقافية، لتحقيق مزيد من تبادل الرأي، وإتاحة الفرصة لالتقاء طلاب العلم والمفكرين والمؤلفين، فضلاً عن توفير مصادر وأدوات ومراجع البحث العلمي بأسعار ميسورة.

٩- الإكثار من المؤتمرات والندوات العلمية والثقافية التي تخدم الإسلام، وتسهم في دراسة مشكلات المجتمعات الإسلامية وحلّها.

- ١٠- طبع أشرطة الفيديو، والكاسيت وتوزيعها مجاناً، أو بيعها بأسعار ميسورة، لنشر الثقافة الإسلامية والقيم الأخلاقية.
- ١١- الإسهام في تمويل الجامعات من مال الوقف، وصرف المكافآت التشجيعية للأساتذة والطلاب المتميزين، والإنفاق على مستلزمات الجامعات البحثية ...
- ١٢- ابتعاث الطلاب المتميزين والجادين والإنفاق عليهم من مال الوقف؛ لتحصيل مزيد من التخصصات العالية والنادرة التي تحتاجها المجتمعات الإسلامية، ويكون ذلك إما على سبيل المنحة، وإما على سبيل القرض الحسن الذي يستردّ تدريجياً فيما بعد.
- ١٣- بناء مساكن للطلاب والمدرسين والمؤذنين والخطباء، لإسكانهم مجاناً، أو بأجور ميسرة.
- ١٤- تمويل رحلات مجانية أو بمبالغ رمزية للعلماء والأساتذة والطلاب، بهدف الاتصال بالأمكن العلمية والأثرية ونحوها، أو تنظيم رحلات إلى الحج والعمرة ...
- ١٥- الإكثار من إقامة المساجد والمراكز الإسلامية في البلاد غير الإسلامية، لتسهم في حفظ هوية الجاليات الإسلامية وأبنائهم، وإنشاء المدارس لهم، وطبع الكتب وإقامة الدورات التثقيفية، واستقدام العلماء والمفكرين المسلمين لدراسة مشكلاتهم وحلّها.

١٦- إهداء مكتبات إسلامية كاملة للدول الإسلامية التي نشأت بعد

انحيار (الاتحاد السوفياتي). وتزويد المعاهد والمدارس في تلك الدول بالكتب التي تعرّف بالإسلام، وتعرض حقائقه وأحكامه وفضائله، وتحقق تنمية سليمة للأساتذة والطلاب وعامة الناس.

١٧- إهداء مكتبات إسلامية كاملة (ولومترجمة) إلى الدول غير

الإسلامية، وذلك ليستفاد منها في مكتباتها العامة، وفي مراكز الاستشراق، وفي المكتبات الجامعية هناك.

هذا، ولا يعدم المسلم المخلص لدينه من البحث عن مجالات أخرى معاصرة، توجه إليها النشاطات الوقفية، في سبيل تحقيق مزيد من التنمية الثقافية والعلمية، والارتقاء في طرق التفكير والإبداع الإنساني، الذي يرضي الله تعالى وينفع عباده.

59

- ٥- بيان أن هذه (الكتاتيب) كانت نقطة الانطلاق في إعداد وتربية النشء، وتمكينه من مبادئ التحصيل، لمواصلة الدراسة والبحث، وتنمية المواهب والمعارف..
- ٦- إبراز أن الوقف على المدارس والمعاهد العليا ومستلزماتها من الأمور التي تميز بها المسلمون عن غيرهم من الأمم والشعوب، وقد كان لهذا النوع من الوقف إسهام بارز في تحقيق النهضة العلمية والفكرية الشاملة، وهيئة الظروف الملائمة للإبداع والابتكار في شتى المجالات والتخصصات العلمية ...
- ٧- إبراز ما للمسلمين من إسهامات جليلة في وقف المكتبات والإنفاق عليها وعلى مستلزماتها، والعناية بتوفير مصادر المعلومات والبحث العلمي في المساجد والمدارس والمعاهد والمستشفيات وغيرها، فضلاً عن وقف المكتبات العامة التي انتشرت في أصقاع العالم الإسلامي، مما كان له إسهام جوهري في تنمية الثقافة وزيادة المعرفة العلمية والإنسانية.
- ٨- بيان مدى استقلالية العلماء وطلاب العلم عن هيمنة الدولة، وعدم حاجتهم المادية إليها، الأمر الذي منحهم الحرية الفكرية وأثرى مؤلفاتهم ومطارحاتهم ومناظراتهم..

- ٩- أسهم الوقف قديماً وحديثاً في إتاحة الفرصة لكل راغب في العلم والمعرفة، مهما كان مركزه الاجتماعي وقدراته المالية.
 - ١٠- أسهم الوقف على المراكز العلمية في ظهور التنافس في صفوف العلماء وطلاب العلم، وبروز أعداد كثيرة من النابغين والناهجين، الذين صاروا فيما بعد قادة المجتمعات في السياسة والفكر والعلم والإبداع، فضلاً عن تفعيل وتنشيط حركة التأليف في كل فن وعلم، مما أثار دهشة وتعجب كثير من المفكرين والباحثين والعلماء المعاصرين.
 - ١١- بيان أن الثروة الإسلامية الوقفية لا تزال هائلة إلى وقتنا الحاضر، مما يتوجب بذل أقصى الجهود المخلصة للانتفاع بها.
 - ١٢- الإشارة إلى الطرق والنماذج المعاصرة المناسبة لاستثمار وتنمية الممتلكات الوقفية التي يملكها المسلمون حالياً.
 - ١٣- عرض نماذج معاصرة في دور الوقف في التنمية الثقافية والعلمية.
 - ١٤- اقتراح مجالات أخرى معاصرة تنتظر استيفاء حقها من الوقف في الميادين الثقافية والعلمية والمعرفية..
- وصدق الله العظيم القائل: ﴿ قل هل يستوي الذين يعلمون والذين لا يعلمون إنما يتذكر أولوا الألباب ﴾ الزمر / ٩

فهرس المصادر والمراجع

١. آداب المعلمين، لابن سحنون، بتعليق محمد العروسي، ط ٢ بتونس ١٩٧٢ م.
٢. الاختيار لتعليل المختار، للموصلي الحنفي، بتعليق الشيخ محمود أبودقيقة، ط ٢ بمصر ١٣٧٠/١٩٥١.
٣. إدارة وتنمية ممتلكات الأوقاف، بحوث صادرة عن المعهد الإسلامي للبحوث والتدريب التابع للبنك الإسلامي للتنمية بجدة، طبع جدة، د.ت.
٤. أدوات الاستثمار الإسلامي، لعز الدين خوجة، ط ٢، إصدار مجموعة دلة البركة بجدة ١٤١٥ هـ / ١٩٩٥ م.
٥. أسنى المطالب شرح روض الطالب، لزكريا الأنصاري الشافعي، مصورة المطبعة الميمنية بمصر ١٣١٣ هـ.
٦. إعلام الموقعين عن رب العالمين، لابن القيم، تعليق طه عبد الرؤوف، طبع دار الجيل الجديد ببيروت ١٣٩٣ م.
٧. أعمال الأعلام، لابن الخطيب، مصورة طبعة صقلية ١٩٢٠ م.
٨. الإنصاف في معرفة الراجح من الخلاف، للمرداوي الحنبلي، تحقيق حامد الفقي، ط ١ بمصر ١٣٧٥ هـ، ١٩٨٠ م.
٩. الأوقاف والحياة الاجتماعية في مصر، لمحمد محمد أمين، طبع دار النهضة العربية بالقاهرة ١٩٨٠.

٢٠. تراجم أعلام النساء، لرضوان دعيول ورفاقه، ط ١ لمؤسسة الرسالة بيروت ١٤١٩/١٩٩٨.
٢١. التربية والتعليم في الأندلس، لإبراهيم العكش، ط ١ لدار عمار بعمان ١٤٠٦/١٩٨٦.
٢٢. ترتيب المدارك، للقاضي عياض، طبع الرباط ١٣٨٣/١٩٥٦.
٢٣. الترغيب والترهيب، للمنذري، تحقيق سعيد اللحام، طبع دار الفكر بيروت ١٤١٤/١٩٩٨.
٢٤. التعريفات، للجرجاني، طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٥٧/١٩٣٨.
٢٥. الثمر الداني في تقريب المعاني، للآبي الأزهرى المالكي، طبع المكتبة الثقافية ببيروت، د.ت.
٢٦. جامع الأصول في أحاديث الرسول، لابن الأثير، تحقيق وتخريج عبد القادر الأرناؤوط، طبع مكتبة الحلواني بدمشق ١٣٩٢/١٩٧٢.
٢٧. جواهر الإكليل شرح مختصر خليل، للآبي الأزهرى المالكي، طبع مصطفى البابي الحلبي بمصر ١٣٦٦/١٩٤٧.
٢٨. جواهر العقود ومعين القضاة والموقعين والشهود، للآسيوطي الشافعي، ط ١، مطبعة السنة المحمدية بمصر ١٣٧٤/١٩٥٥.

٢٩. حاشية القليوبي، الطبعة الثالثة لمصطفى الباي الحلبي بالقاهرة
١٩٥٦=١٣٧٥.
٣٠. الحضارة والثقافة والمدنية، للدكتور نصر عارف، ط١.
٣١. الخطط المقرزية (المواعظ والاعتبار بذكر الخطط والآثار) للمقرزي،
طبع دار صادر بيروت د.ت.
٣٢. الدارس في تاريخ المدارس، للنعمي، تحقيق جعفر الحسني، طبع المجمع
العلمي العربي بدمشق ١٣٦٧/١٩٤٨.
٣٣. الدرر الكامنة في أعيان المائة الثامنة، لابن حجر العسقلاني، تحقيق
محمد سيد جاد الحق، طبع دار الكتب الحديثة بالقاهرة، د.ت.
٣٤. الذخيرة، للقرافي المالكي، تحقيق سعيد أعراب، ط١ لدار الغرب
الإسلامي بيروت ١٩٤٤م.
٣٥. روضة الطالبين وعمدة المفتين، للنووي، ط٢ للمكتب الإسلامي
بيروت ١٤٠٥/١٩٨٦.
٣٦. سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة وأثرها السيئ في الأمة، للألباني،
ط٣ للمكتب الإسلامي بيروت ١٣٩٢ هـ.
٣٧. سنن ابن ماجه القزويني، تحقيق محمد مصطفى الأعظمي، ط١
 بالرياض ١٣٠٤/١٩٨٣.

٣٨. سنن أبي داود، مراجعة محمد محي الدين عبد الحميد، طبع مكتبة الرياض الحديثة، د.ت.
٣٩. سنن الترمذي، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، طبع دار الكتب العلمية بيروت د.ت.
٤٠. سنن النسائي (بشرح السيوطي وحاشية السندي) تحقيق عبد الفتاح أبوغدة، ط ٢ بيروت ١٤٠٩/١٩٨٨.
٤١. سير أعلام النبلاء، للذهبي، تحقيق شعيب الأرنؤوط ورفيقه، طبع مؤسسة الرسالة بيروت ١٤٠٣/١٩٨٣.
٤٢. السيرة النبوية، لابن هشام، تحقيق د. همام سعيد ورفيقه، ط ١ مكتبة المنار بالزرقاء ١٤٠٩/١٩٨٨.
٤٣. الصحاح (تاج اللغة وصحاح العربية) للجوهري، تحقيق أحمد العطار، طبع دار الكتاب العربي بمصر ١٣٧٧هـ.
٤٤. صحيح البخاري، طبع مكتبة الجمهورية العربية بمصر، د.ت.
٤٥. صحيح سنن النسائي، للألباني، ط ١ للمكتب الإسلامي بيروت ١٤٠٨/١٩٨٨.
٤٦. صحيح مسلم، تحقيق محمد فؤاد عبد الباقي، ط ١ لعيسى البابي الحلبي بمصر ١٣٧٥/١٩٥٥.
٤٧. طبقات علماء أفريقيا، للخشني، طبع الجزائر ١٣٢٢هـ.

٥٧. اللؤلؤ والمرجان فيما اتفق عليه الشيخان، لمحمد فؤاد عبد الباقي، طبع
وزارة الأوقاف الكويتية ١٣٩٧/ ١٩٧٧.
٥٨. لسان العرب، لابن منظور، ط ٣ لدار الكتب المصرية
للتأليف ١٩٨٠/ ١٤٠٠.
٥٩. المبدع في شرح المقنع، لابن مفلح الحنبلي، طبع المكتب الإسلامي
ببيروت ١٣٩٤هـ.
٦٠. مجلة المنهل (تصدر بالرياض) العدد ٤٨٩ لشهر ١/ ١٢٤١هـ.
٦١. مجلة الوعي الإسلامي (تصدر عن وزارة الأوقاف الكويتية) العدد
٣٨٩ لشهر ١٠/ ١٤١٩هـ، والعدد ٣٩٩ لشهر ١١/ ١٤١٩.
٦٢. مجمع الزوائد ومنبع الفوائد، لابن حجر الهيتمي، مطبعة القدسي بمصر
١٣٥٢هـ.
٦٣. مجموع فتاوى ابن تيمية، جمع عبد الرحمن قاسم وولده، طبع عالم
الكتب بالرياض ١٤١٢/ ١٩٩١.
٦٤. المستدرك على الصحيحين، للحاكم، طبع دار المعرفة ببيروت، د.ت.
٦٥. المسند، للإمام أحمد بن حنبل، طبع دار صادر ببيروت ١٣٨٩هـ.
٦٦. المصباح المنير في غريب الشرح الكبير، للفيومي، ط ٦ الأميرية بالقاهرة
١٩٢٥م.
٦٧. معالم الإيمان، لابن ناجي، طبع تونس ١٣٢٠هـ.

٦٨. معاهد العلم في بيت المقدس، لكامل جميل العسلي، طبع الجامعة الأردنية بعمان ١٩٨١م.
٦٩. معجم الأدباء، لياقوت الحموي، مراجعة لجنة من وزارة المعارف المصرية، طبع دار المأمون بالقاهرة، د.ت.
٧٠. المعجم النقدي لعلم الاجتماع، لبوديكووزميله، ترجمة الدكتور سليم حداد، ط ١ بيروت ١٤٠٦/١٩٨٦.
٧١. المعجم الوسيط، إعداد مجمع اللغة العربية بالقاهرة، ط ٢ فيها، لدار المعارف ١٤٠٠ هـ.
٧٢. المعيار العرب والجامع المغرب عن فتاوى علماء أفريقيا والأندلس والمغرب، للونشريسي، إخراج د. محمد حجي ورفاقه، طبع دار الغرب الإسلامي بيروت ١٤٠١/١٩٨١.
٧٣. المغني في الفقه الحنبلي، لابن قدامة، تحقيق الدكتور عبد الله التركي وزميله، ط ٢ بمصر ١٤١٢/١٩٩٢.
٧٤. المكتبات في الإسلام نشأتها وتطورها ومصائرهما، لمحمد ماهر حمادة، ط ٢ لمؤسسة الرسالة بيروت ١٣٩٨/١٩٧٨.
٧٥. مناقب محزر بن خلف، لأبي طاهر الفارسي، طبع تونس ١٩٥٩م.
٧٦. المنتظم في تاريخ الملوك والأمم، لابن الجوزي، تحقيق محمد عطا وأخيه، طبع دار الكتب العلمية بيروت، د.ت.

٧٧. منح الجليل على مختصر خليل، للشيخ عlish المالكي، المطبعة الكبرى بالقاهرة ١٢٩٤هـ .
٧٨. من روائع حضارتنا، للدكتور مصطفى السباعي، طبع المكتب الإسلامي بيروت د.ت.
٧٩. النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة، لابن تغري بردى، طبع دار الكتب بالقاهرة ١٢٩٤م.
٨٠. نشأة الكليات ومعاهد العلم عند المسلمين وفي الغرب، لجورج المقدسي، ترجمة محمود سيد محمد، طبع مركز النشر العلمي بجامعة الملك عبد العزيز بجدة ١٤١٤/١٩٩٤.
٨١. نيل الأوطار شرح منتقى الأخبار، للشوكاني، طبع دار الجيل بيروت ١٩٧٣م.
٨٢. الوقف في العالم الإسلامي - أداة سلطة اجتماعية سياسية - إصدار المعهد الفرنسي للدراسات العربية بدمشق ١٩٩٥م. (تقديم: راندي ديغليم).
٨٣. الوقف وبنية المكتبة العربية، للدكتور يحيى الساعاتي، ط ١ بالرياض ١٤٠٨/١٩٨٨.

انتهى البحث بحمد الله تعالى